

مجلة

مَعْهَدُ الدِّرَاسَاتِ الإِسْلَامِيَّةِ فِي مَدْرِيدِ

●
يصدرها معهد الدراسات الإسلامية في مدريد

مدريد ١٩٧١

المجلد السادس عشر

Francisco de Asís Méndez Casariego, 10. — Madrid - 2

العنوان :

آثار التراث العربي

في اللغة الألمانية

« التراث العربي » قد أصبح اليوم تعبيراً أو اصطلاحاً ذا معنى معروف لدى جميع أبناء لغة الضاد إذ يتضمن كل ما وقعت إليه الحضارة العربية الاسلامية من نتاج وإجازات في شتى ميادين الحضارة عبر حقب تاريخها المجيد، ففي كل يوم يكتشف الباحثون المستشرقون من خلال أبحاثهم العلمية تفاصيل جديدة وأدلة أكيدة تشهد بمساهمة العرب الفعالة في تطوير بناء الحضارة الانسانية ، ولا شك في أن تأثير العرب على الغير لم يكن بالامكان حدوثه في المرحلة الأولى إلا عن طريق الاحتكاك المباشر، وكلنا نعرف جيداً تلك الشعوب التي احتك بها العرب خلال تاريخهم في الشرق والغرب حيث تمكنوا من الأخذ عنها والتأثير عليها ، ولا نجد من بين هذه الشعوب الشعب الألماني مما قد يجعل المرء يستغرب موضوع هذا المقال ، فكيف أمكن إذاً أن يصل نفوذ العرب الثقافي إلى الألمان ؟

ولذا سأحدث أولاً عن الطرق التي وصلت بها آثار التراث العربي إلى الألمان ، فهناك خمس طرق رئيسية تستحق الذكر أولها الأندلس وثانيها جزيرة صقلية وثالثها الشرق الأدنى نفسه ابان الحروب الصليبية ورابعها تجارة المدن الايطالية مع بلدان الشرق العربي في القرون الوسطى وخامستها الوسائل الاعلامية الحديثة في القرنين الأخيرين .

وقد أصبحت الأندلس بعد الفتح الاسلامي أهم مراكز التعارف بين العرب والغربيين وكان يعيش فيها شعب غربي لاتيني الثقافة تحت سيطرة عربية إسلامية عدة قرون من أوائل القرن الثامن إلى نهاية القرن الخامس عشر حيث تمت تصفية الأندلس نهائياً من آخر بقايا الحكم العربي ، ومما لا يتقبل أدنى

شك أن هذه القرون الثمانية التي أصبحت خلالها الأندلس في أيدي المسلمين تركت في سكانها أعماق الآثار في كل ميادين الحياة العامة والثقافية أيضاً ، فمن الطبيعي إذاً أن نجد في اللغتين الإسبانية والبرتغالية عدداً كبيراً لا يحصى من الكلمات العربية تدل حتى يومنا هذا على مدى نفوذ الحضارة العربية ، ولم يقتصر هذا النفوذ العربي الإسلامي هناك على الحياة العامة في البلاد نفسها بل ظهرت ظاهرة أبعد من ذلك ألا وهي تطوير العلوم على أيدي العرب في الأندلس واشعاع المدارس العلمية العربية الموجودة هناك إلى ما وراء حدود الأندلس في البلدان الأوروبية المجاورة ، وتم هذا الإشعاع ، هذا التأثير العلمي على الأوروبيين في الدرجة الأولى عن طريق ترجمات لاتينية لكتب العرب العلمية ، فخرجت هذه الكتب المترجمة عن حدود الأندلس إلى البلدان الأوروبية الأخرى حتى أن آثاراً لها تلاحظ في الشمال البعيد أي في أيسلندا وذلك بعد وقت قليل أي في القرن الثاني عشر فقط ، فأخذت تتسلل كذلك الأخبار عن عرب الأندلس وعدد من تلك الكتب المترجمة إلى ألمانيا حيث توجد لها صدى في مصنفات العلماء وفي أشعار الملاحم الشعرية منذ القرن الحادي عشر فصاعداً ، وكانت هذه الحركة الثقافية الصادرة عن الأندلس العربية تمر عن طريق اسبانيا الشمالية التي لم تنقطع عنها سيادة ملوك الافرنج ومن ثم إلى البلاد الفرنسية ، ولذلك فقد أصبحت للكلمات العربية الدخيلة على اللغة الألمانية في تلك الفترة التاريخية صبغة إسبانية أو فرنسية من ناحية النطق أو الصورة ، وأما عدد هذه الفئة من الكلمات فهو كبير أذكر على سبيل المثال كلمات منها : الأمير Admiral والخليفة Kalif ومن الملابس جبة Joppe ومن الآلات المطربة العود Laute ومن الاصطلاحات العلمية الكحل Alkohol والقلي Alkali والجبر والمقابلة Algebra والصفير Ziffer وعدداً لا يحصى من مصطلحات علم الفلك والتنجيم ما زالت كلها تحي وتستعمل إلى يومنا هذا .

وأما جزيرة صقلية فقد استغرقت السيطرة العربية عليها بصورة مباشرة وقتاً أقل أعنى من القرن التاسع إلى النصف الثاني من القرن الحادي عشر أي مائتين وخمسين سنة تقريباً ، إلا أن النفوذ العربي لم ينته مع نهاية سيادة

العرب السياسية بل إن خلفاءهم من ملوك النورمان والألمان قد أبقوا العرب في البلاد واستندوا إليهم في كثير من الأمور إذ أنهم قد أدركوا تفوق العرب في ميادين شتى واعترفوا بفضلهم في العلوم والفنون وشئون الإدارة ، وقد بلغ نفوذ العرب الثقافي في صقلية ذروته في حكم الملك فريديريك الثاني الألماني المتوفى سنة ١٢٥٠ والذي قيل إنه قد تعمق شخصياً في مطالعة الكتب العربية والذي اتخذ وزراءه وأطبائه وكبراء موظفيه من أبناء العرب ، وأصبحت بذلك صقلية متبعاً آخر لمعلومات عربية ومفاهيم عربية وكلمات عربية شاعت منها عبر باقى بلدان أوروبا ومن بينها طبعاً ألمانيا .

وأما الطريق الثالثة فهي عبارة عن حادث مؤلم لا يستطيع الغرب أن يفخر عند ذكره أعنى الحروب الصليبية ، الا أنه مهما كانت لهذه الحروب من أسباب خاطئة وظروف قاسية وعواقب باقية فلا بد أيضاً من الناحية الأخرى الثقافية أن نعتز بأنه كانت لها جوانب إيجابية أيضاً فتمكنت شعوب أوروبا التعرف من خلالها على حضارة أقدم وأعلى قد بلغت مستوى لم يعرفه الغرب في تلك القرون الوسطى وسنحت حينئذ للشرق مرة أخرى في التاريخ فرصة لابرز متجزاته ولتعليم الغربيين ما لم يعلموا ، ودامت حركة الحروب الصليبية عدة قرون وقعت خلالها حملات متعددة أدى بعضها إلى استقرار الغربيين في بلدان الشرق وتأسيس إمارات وممالك لهم هناك بقيت فترات مؤقتة فقط ثم زالت ، وأما الإلمان فقد اشتركوا في بعض هذه الحملات وليس في كلها ، وكانت اللغة السائدة في جيوش الصليبيين الفرنسية إلى جانب اللاتينية ، وعاد الغربيون في تلك الفترة التاريخية بقسط ملحوظ من المعلومات الجديدة ولا سيما في ميدان الحياة العامة تركت آثارها في جميع اللغات الأوروبية تتمثل في فوج جديد من الكلمات الدخيلة استفادت منها اللغة الألمانية أيضاً وذلك عن طريق اللغتين الفرنسية والإيطالية وأحياناً عن طريق البيزانطية أيضاً كما يبرهن على ذلك لفظ تلك الكلمات ونطقها .

نستعرض الآن الطريق الرابعة وهي كما قلت التجارة المزدهرة بين مدن إيطاليا كالبندقية وجنوا وغيرها وبين الشرق العربي ، فأدت هذه التجارة التي

وأصلها الطرفان بلا انقطاع مدة القرون الوسطى كلها أدت إلى إدخال عدد كبير من البضائع الجديدة المجهولة قبل ذلك إلى الغرب احتفظ عند استيرادها بأسمائها العربية كما تعود التجار الإيطاليون على استعمال بعض مصطلحات التجارة العربية التي دخلت بواسطة لغتهم في معظم اللغات الأوروبية الأخرى ومن بينها الألمانية مثل: السكة والطرح والتعريف والرزمة والحوارية والحوالة وإلى غير ذلك .

ولنتطرق أخيراً الطريق الخامسة التي دخلت بها مفردات واصطلاحات عربية شرقية في اللغة الألمانية . وهذه الطريق هي الآن طريق مباشرة على العكس من الطرق الأربع الأولى ، ففي هذه الفترة الأخيرة جاءت استعارة الكلمات في اللغة الألمانية رأساً عن العربية ، لا بواسطة الفرنسية أو الإيطالية أو الإسبانية أو غيرها وهذا بفضل نشر كتب المستشرقين وأوصاف الرحالة المتجولين في بلدان الشرق في القرنين الأخيرين .

وأحب أن أذكر في هذه المناسبة شاعر الألمان جوته كأول وأهم من استعمل المفاهيم والكلمات الشرقية في اللغة الألمانية وذلك في أوائل القرن الماضي حيث وضع بعد طول الدراسة والتعمق ديواناً شعرياً بعنوان « الديوان الشرق للمؤلف الغربي » استعمل فيه ثروة وافرة من المعلومات العربية والإسلامية استنبطها من كتب المستشرقين والأبحاث العلمية في عصره ، ودخل بواسطة هذه الطريق عدد لا يستهان به من المفاهيم والكلمات العربية في لغة الألمان وأصبح معروفاً وفي متناول الجميع .

وإذا أعدنا النظر إلى ما قد ذكرت من مصادر ومنابع فيمكن القول إن معظم آثار التراث العربي في اللغة الألمانية جاء غير مباشر عن طريق لغات أخرى لشعوب كانت على اتصال مباشر مع العرب إما في الغرب أو في الجنوب أو في الشرق ، واما مستعارات اللغة الألمانية المباشرة من العربية فقد بدأت في العصر الحديث فقط بعد مزاولة المستشرقين نشاطهم ونشر نتائج أبحاثهم ، ومن الجدير بالذكر هنا أنه غريب للغاية أن وجود عشرات الآلاف من العرب من جميع البلدان العربية في ألمانيا في السنين العشرين الأخيرة من أجل الدراسة

أو العمل أو غير ذلك واتصلهم الوثيق المباشر بالسكان الألمان لم يؤد إلى إدخال ولو كلمة واحدة جديدة إلى اللغة الألمانية ، مما يظهر بشكل واضح تماماً حقيقتين : أولاً أن عملية استعارة كلمة أجنبية عملية لا تتم سريعاً بل تحتاج إلى مدة أطول كي تتطور تطوراً طبيعياً ، وثانياً أنها أن إدخال الكلمات الأجنبية في لغة أخرى يحدث عامة عن الطريق الكتابي لا الشفوي أي أنه ينبغي أن تكون كلمة ما قد دونت كتابةً باليد أو طباعةً حتى تشيع معرفة تلك الكلمة بين القراء ثم يستعملها الناس عامة ويجوز اعتبارها كلمة دخيلة جديدة .

وأود أن أذكر هنا أن من بين الكلمات العربية التي تعرفها اللغة الألمانية الحية عدداً من الكلمات يعود أصلها إلى غير العربية مثلاً إلى الفارسية أو التركية ، وذلك أن اللغة العربية وهي اللغة السائدة في العالم الإسلامي قد أصبحت المركب الذي وصل عليه بعض المعاني إلى الغرب ، وينطبق هذا على كلمات مثل : القفطان والنيلة والشاه أي لعبة الشطرنج والبازار والكوشك والصك والديوان والدرويش والنارنج والطاسة وإلى غير ذلك .

ومن الطريف أن بعض هذه الكلمات قد دخل الغرب مرتين فقد وردت في القرون الوسطى في اللغة الألمانية القديمة واستعملت في الشعر أو النثر آنذاك ثم زالت معرفتها واستعملها حتى دخلت مرة ثانية عن طريق جديدة في العصر الحديث ، وأذكر كأمثلة : الخليفة ، والسلطان (في القديم Soldan وفي الحديث Sultan) والشربة أو الشربة (في القديم Sirup وفي الحديث Sorbet) والصفير (في القديم Ziffer وفي الحديث Chiffre) والأمير (في القديم Admiral وفي الحديث Emir) .

وقبل أن آتي إلى الجزء الثاني من هذا المقال أود أن أتوه بالعمل العلمي الذي لا غنى عنه ولا بد منه وكذلك بالطريقة العلمية المتبعة في تدقيق آثار اللغة العربية في اللغات الأوروبية وفي ضبط الدخيل وأصله ، ولا يكفي بأى شكل من الأشكال أن يأتي الباحث بأية كلمة عربية تشبه الكلمة الأوروبية حرفاً أو لفظاً أو نطقاً ليضبطها كأصل الاستعارة مما قد يؤدي إلى أسوأ

الأخطاء في الفهم والتفسير ، وإنما الطريقة الوحيدة الناجحة في مثل هذه الأبحاث والتي لا غنى عنها هي الرجوع إلى الأصول ومتابعة الكلمة في كل مرحلة من مراحل انتقالها من لغة إلى أخرى ، ومن الضروري أن أعترف هنا بأن بعض الكلمات التي تعتبر عربية دخيلة على الألمانية أو على غيرها من اللغات الأوروبية لم يتم ضبطها بهذه الطريقة العلمية الآمنة وبأنه ينبغي أن يعيد العلماء اللغويون والمستشرقون النظر في كل واحدة منها من حيث أصلها أو في مراحل انتقالها حتى يتبين بجلاء نام من أين هي وكيف انتقلت وإلى أين صارت .

ولنتجه الآن إلى الجزء الثاني من هذا البحث الذي أريد أن أقدم فيه أمثلة لفتات الكلمات العربية المختلفة التي أصبح لها مكان في اللغة الألمانية الحية ، ويبدو من الأحكم أن تقسم هذا التراث اللغوي العربي قسمين : قسم يجيء استعماله لتسمية ظواهر عربية أو إسلامية بحتة لا نظير لها في كلام الألمان والأوروبيين عامة ، وقسم آخر يضم مفاهيم ومعاني عامة عرفها الألمان بلفظها العربي منذ جيل أو أجيال حتى أنها تعتبر جزءاً من اللغة الألمانية لدى الجميع .

وأما القسم الأول فأبدأه باسم العرب نفسه فمن الغريب أن الألمان في القرون الوسطى كسائر شعوب أوروبا لم يعرفوا العرب باسمهم الصحيح ، بل إنه قد سادت رأيهم في تلك الفترة من التاريخ فكرة أفضلية الدين المسيحي مما دفعهم إلى أن قسموا كل الشعوب المعروفة لديهم حسب تعاليم كتاب التوراة إلى ثلاثة أصناف على رأسها المسيحيين وبجانهم اليهود والمسلمين وأطلقوا على المسلمين في ذلك العصر عموماً اسم الكفار وبالألمانية القديمة heiden ، ومن الواضح أنه كلما ورد في شعر الألمان القديم وفي الملاحم المعروفة ذكر ال heiden يكون المقصود منه العرب في المغرب كانوا أم في المشرق ، أما الاسم الصحيح Araber أي العرب فشاع استعماله عند الألمان بعد القرون الوسطى في أوائل العصر الحديث فقط .

وأنتقل الآن إلى ذكر أسماء مفاهيم البيئة الإسلامية التي يعرفها الألمان بأسمائها الصحيحة ، فاسم الإسلام يعرف بصيغته الأصلية ، وكذلك المسلم ، كما ويعرف اسم الله بشكله الصحيح إلا أن الألمان ينطقونه حسب طريقة تلفظهم فيقولون Allah بدلا من الله ، ويعرف كذلك القرآن الكريم فيقال له بالألمانية Koran ، وأما رسول الله محمد فيعرفه الألمان اليوم باسمه الصحيح بينما عرف اسمه في القرون الوسطى بشكل محرف كـ Mahomet ، أما لفظ المسجد فدخل لغة الألمان عن طريقين مرة عن طريق إيطاليا بشكل كلمة زالت الآن من الوجود ومرة أخرى عن طريق اسبانيا ثم فرنسا وتطور لفظ هذه الكلمة فيما بعد إلى Moschee ، وأما المئذنة فتعرف لدى الألمان باسم Minarett أى المنارة وقد وصلت هذه الكلمة العربية الأصل إلى الألمان عن طريق تركيا ولذلك أصبح لفظها عند الألمان لفظاً تركياً مناريت Minarett بدلا من منارة ، كما ويعرف المؤذن بالشكل التركي حيث يقال له بالألمانية Muezzin ، ويعرف الألمان منبع الإسلام ومحج المسلمين مكة باسمها الصحيح وكثيراً ما يذكر عندهم تشبيهاً واستعارة كما لا يجهل إسم الكعبة كذلك ، ثم توجد كلتا المفتى والفتوى ، أما القاضى فقد أصبح من أكثر الكلمات العربية استعمالاً في اللغة الألمانية الدارجة ، ومن الطريف أن الفقير معروف في الألمانية لتسمية الزهاد الهنود خارج المفهوم العربى للكلمة ، وأضيف أخيراً إلى هذه الفئة من الكلمات العربية الدخيلة على اللغة الألمانية عبارة الشهادة الإسلامية أى « لا إله إلا الله » إذ وجدتْها واردة في قصيدتين لشاعرين ألمانيين في القرن الماضى بشكلها العربى ولو بصورة محرفة ، وأما تحية المسلمين « السلام عليكم » فلها أيضاً أثر في اللغة الألمانية الدارجة حيث يرد ذكرها أحياناً للتنويه بالطابع الشرقى ، وفي نفس هذا الباب لا بد أن أذكر بعض الألقاب السياسية التي أصبحت معروفة في اللغة الألمانية بصيغتها العربية ألا وهى الأمير وله شكلان : أما في القرون الوسطى فدخل اللغات الأوروبية الغربية عن طريق البيزنطية فيقال Admiral محرفاً ، وأما في العصر الحديث فقد اقتبس من كتب المستشرقين أو الرحالة فيقال Emir حسب نطق الألمان ، ثم السلطان الذى يذكر في بعض كتب

القرون الوسطى بشكل Soldan وفي عصرنا الحديث بشكل Sultan ، والخليفة الذى يقال له بالألمانية Kalif ، وأذكر بهذه المناسبة أن أشهر الخلفاء كلهم بالنسبة للألمان هو هارون الرشيد العباسى الذى دخل اسمه إلى أذهان الألمان عن طريق ترجمات مختلفة لمجموعة روايات ألف ليلة وليلة ، كما عرف الألمان عن نفس المصدر اسم الوزير بصيغته الصحيحة ، وأذكر أخيراً كلمة الشيخ التى ينطقها الألمان حسب قوانين لفظهم Scheich .

ومعظم كلمات هذه الفئة من المفردات الدخيلة قد احتفظ بشكله الأصلي تقريباً مما يدل على أن استعارتها جرت مؤخراً فقط عن اللغة العربية مباشرة أى عن طريق كتب المستشرقين والرحالة ، بينما قدمت الكلمات القديمة التى دخلت الألمانية فى القرون الوسطى عن طريق لغات أوروبية أخرى شكلها الأصيل وحرفت لدرجة أنه لا يكاد يمكن تعيينها وضبط أصلها العربى بدقة تامة .

ولنسرده الآن مختارات من كلمات القسم الثانى من المفردات العربية الدخيلة على اللغة الألمانية من شتى ميادين الحياة العامة ، وأبدأ أولاً بأسماء بعض المدن العربية الشهيرة التى اشتقت منها أسماء لأنواع الأقمشة أو الملابس أو غيرها ، فمنها بغداد التى جاء منها Baldachin أى مظلة من الحرير ، والموصل التى جاء منها Musselin أى نوع من القماش الخفيف الشفاف ، وكذلك دمشق ومنها Damast ، والزيتون من تسمية العرب القدماء لمدينة من مدن الصين جلبوا منها قماشاً كان يعرف بالزيتونى ثم أصبح اسمه عند الغربيين Satin أى نوع من الحرير ، وأما مدينة فاس بالمغرب الأقصى فاشتق منها اسم الطربوش بالألمانية وذلك عن طريق اللغة التركية كما يدعى المستشرقون ، وغدامس فى ليبيا جاء منها اسم لنوع خاص من الجزمة الجلدية فهو Gamaschen بالألمانية .

ومن أنواع الملابس والأقمشة أيضاً الجبة والبرنس والخير والقطن والخلعة ، وأود أن أنوه هنا على الهامش بأن الأوروبيين لا يعرفون أشهر قطعة من الملابس الشرقية والتى تعتبر فى أوروبا رمزاً للشرق الإسلامى بأسره أى العمامة إلا باسمها الفارسى فقط وقد نقل إليهم عن طريق الآراك ويقال لها بالألمانية

Turban مشتق من الفارسي « دلبند » ، وأما الجبة فهي بالألمانية Joppe أى نوع من المعاطف القصيرة للرجال ، والبرنس معروف ، والخير قماش ثقيل يعرف الآن لدى الألمان بصيغة إنجليزية Mohair وبصيغة فرنسية أيضاً Moiré ، والخلعة قد تناسلت منها عن طريق اسبانيا كلمة Gala أى الملابس الفاخرة التي يلبسها الأعيان في مناسبات الأعياد والحفلات الرسمية ، والقطن وله مشتقان أولهما قديم وهو Kittel أى لباس شبيه بالقفطان يلبسه الناس للعمل ، وثانيها Kattun أى إسم القطن نفسه جاء إلى ألمانيا عن طريق الانجليزية في العصر الحديث .

ويعرف كذلك لدى الألمان عدد من النباتات بأسمائها العربية أذكر منها على سبيل المثال الزعفران فهو معروف منذ القرون الوسطى حتى هذا الوقت ، والقهوة التي يقول الألمان لها Kaffee كما يقال لنوع خاص من مشروب القهوة القوى Mokka وهذا الاسم مشتق من اسم مدينة مخا باليمن حيث كانت قد شحنت القهوة اليمنية التي كانت لها أكبر شهرة في أوروبا في أول عصر القهوة هناك ، كما يعرف الألمان إسم الحشيش كمادة مخدرة ، هذا ولم أذكر هنا عدداً من أسماء النباتات الأخرى كانت معروفة في ألمانيا عبر القرون الماضية وتستعمل في تحضير بعض العقاقير إلا أنها أصبحت اليوم مجهولة جهلاً تماماً بعد أن بدأت الصناعة الكيماوية تعمل في هذا الميدان فنسى الناس معرفة الطبيعة والقوى الصالحة الكامنة فيها .

وأضيف الآن شيئاً من أسماء المأكولات والمشروبات مثل كلمة شربة أو شربة التي لها مشتقان أى Sirup وهو عصير فواكه مركز و Sorbet وهو نوع من الحلوة أقرب شيء إلى القشطة أو الكريمة ، وكلمة السكر الذي دخل اسمه الألمانية في القرون الوسطى .

ومن أسماء الحيوانات يعرف الألمان الغزالة والزرافة بأسمائها العربية حيث يقال لها Gazelle و Giraffe ، هذا بالإضافة إلى عدد من الحيوانات الأخرى قلت معرفتها في أوروبا ولا توجد لها أسماء سوى الأسماء الأصلية .

ويتردد كذلك في ألمانيا بعض الأسماء العربية المتصلة بالمنزل مثل الصفة أى Sofa وهى قطعة من الأثاث بين السرير والمقعد ، والقبة تطلق على الزاوية من الغرفة شبيهة بالشرفة ، والمطرح الذى يسمى به الألمان منذ القرون الوسطى مرتبة السرير وهو بلفظهم Matratze ، والديوان وهو كالصفة المذكورة أثاث للجلوس والرقود .

أسرد بعد ذلك بعض الاصطلاحات التجارية التى يكثر استعمالها فى لغة الألمان بشكلها العربى ، ومنها المخزن فهو Magazin أى بمعنى المخزن بالضبط وحديثاً أيضاً بمعنى المجلة ، وكلمة التعريفه معروفة منذ القرن الخامس عشر وتستعمل حتى اليوم فى نطاق واسع ، والرزمة أى Ries وهى كلمة خاصة بصناعة الورق مما يستدل على أن الغربيين أخذوا صنع الورق عن العرب ، والطرح أى Tara ويعنى طرح وزن الف من وزن البضاعة الصافي ، والسكة التى دخلت عن طريق إيطاليا بشكل Zechine لتسمية نوع من العملة التى لا تعرف اليوم إلا أن اسمها ما زال يستعمل للاستعارة .

ثم نستعرض بعض الاصطلاحات العلمية التى حازت على انتشار واسع بلا انقطاع منذ القرون الوسطى إلى الآن ، مثل الكحل أى Alkohol ويستعمل منذ القرن السادس عشر لتسمية المشروب الروحى بينما كان يعنى أصلاً المادة الكيماوية الدقيقة للغاية ، وقد ذكرت سابقاً القلى أى Alkali من أسماء الأحماض ، والجبر Algebra لتسمية المعادلات فى الرياضيات ، والصفرة وله تاريخ عجيب فقد أصبح فى الغرب فى القرون الوسطى Ziffer وكان معناه أصلياً يدل على عدد الصفرة فقط ثم استعمل أيضاً لتسمية علامات الأعداد العشر كما اشتق منه مؤخراً عن طريق الفرنسية كلمة Chiffre بالألمانية ، ومن الطريف أن نفس الكلمة بشكلها الفرنسى عادت مؤخراً إلى العربية حيث أصبحت كلمة أجنبية دخيلة ألا وهى شفرة بالمعنى الفرنسى ، وبهذا أخذ العرب عن الأفرنج كلمة عربية الأصل قد حرفت إلى أن غمض أصل اشتقاقها وعادت إليهم مجهولة الأصل العربى .

ثم أذكر من علم الرياضيات مفهوماً من أشهر المفاهيم ألا وهو علامة \times أي العلامة التي تدل على الشيء المجهول ، ولا شك أن أصل هذا المعنى يرجع إلى الكلمة العربية شيء ولو لم ينته الباحثون بعد إلى حكم نهائي فيما يخص الطريق التي دخل الحرف بها إلى اللغات الأوروبية ، فاما قد أدخل العرب حرف الشين اختصاراً لمعنى الشيء في المعادلات فأخذها الإسبان وكتبوها حسب قوانين لفظهم الإسباني القديم بحرف ال \times الذي نطقوه حينئذ كالشين العربي ثم دخل ال \times باقي اللغات الأوروبية ، واما استعمال بعض العلماء الغربيين القدماء كلمة *cosa* ترجمة للاصطلاح العربي شيء ثم اختصره بعلامة كتابية شابهت حرف ال \times ، ومهما كانت الطريقة فالثابت على أي حال أن أصل رمز ال \times في الرياضيات يرجع إلى العلم العربي القديم في القرون الوسطى .

وأذكر ضمن هذه الفئة من الكلمات كلمة أصبح لها في العالم الجديد كله أوسع انتشار ألا وهي كلمة *Benzin* بالألمانية ويسمى بها الوقود المعروف الذي يدير محركات السيارات والمكائن الأخرى ، ويرجع أصله إلى تعبير عربي أو بالأصح اسم من الأسماء الكيماوية وهو لبان جاوى .

وأنوه هنا أيضاً بالمصطلحات الفلكية مثل *Zenit* أي السميت أو سمت الراس ويعرف أعلى نقطة للقبة السماوية وعكس هذه النقطة اسمه بالعربية نظير السميت مما أصبح بالألمانية *Nadir* ، وينتمي إلى نفس هذه الأسرة من الكلمات *Azimut* مأخوذ من السموت أي جمع كلمة السميت ، وكل هذه الثلاث من أقدم الكلمات العربية الدخيلة على اللغات الأوروبية حيث ذكرت لأول مرة في عدة مخطوطات لاتينية في وصف الاضطراب يرجع تاريخها إلى القرن العاشر والحادي عشر للميلاد فقط ، وأما أسماء النجوم والكواكب العربية التي لا تزال تستعمل في جميع اللغات الأوروبية إلى يومنا هذا فعددها أكبر من أن يمكنني إحصاؤها هنا وأمثالها : الدبران وسهيل والسها والشعري والفكة وكذلك أكثر من مائتي اسم .

ثم يجب أن نستعرض بعض الكلمات الفارسية الأصل التي بلغت الغرب بواسطة العربية والتي ما زالت تحيي في اللغة الألمانية لأن ، مثل القفطان أي

نوع من ألبسة الرجال الطويلة ، والنيلة صبغة أطلق مؤخراً على بعض المنتجات الصناعية الألمانية للصبغ أى Anilin ، ثم البازار ، والكوشك الذى ينطقه الألمان بشكل تركى حيث يقولون له Kiosk ، ومن الكلمات العالمية التى يستعملها الألمان أيضاً اسم الشاه لتسمية لعبة الشطرنج والتعبير الفارسى العربى المختلط الشاه مات اصطلاحاً لتحديد موقف خاص فى هذه اللعبة . وجدير بالذكر أن هذه اللعبة وأسماءها الفارسية والعربية كانت معروفة فى أوروبا قبل القرن الثالث عشر فنجدها مذكورة فى أقدم الملاحم الألمانية ، ولا بد أن أذكر من بين هذه الفئة من الكلمات : الصك أى الوثيقة أو العقد وأصلها فارسى أصبح عند الافرنج Scheck وهى كلمة متداولة على أوسع نطاق عند الألمان أيضاً فى حياتهم الاقتصادية والمالية الحديثة ، وكلمة الديوان يعرفها الألمان فى معان مختلفة منها المجموعة الشعرية وقد أطلق Goethe هذا الاسم على واحدة من أرق مصنفاته الغزلية فى أوائل القرن الماضى ، ومنها ثانياً الأثاث كالصفة ، ومنها ثالثاً المكتب الحكومى إلا أن هذا المعنى الثالث قليل الانتشار فى ألمانيا الآن ، وأختتم هذه الفئة من الكلمات الفارسية بذكر الدرويش فهو معروف لدى الألمان فى نفس معناه الأصلي .

وأخيراً أذكر بعض الكلمات المتفرقة التى يكثر استعمالها عند الألمان أيضاً ، منها بعض مصطلحات الملاحة مثل الحبل والحوارية والقلفطة ودار الصناعة أى Arsenal ومعناه اليوم مخزن الاسلحة ، ومن الآلات المطربة العود وهو بالألمانية Laute دخلت عن طريق اللغة الاسبانية القديمة فى القرون الوسطى ، وكذلك القيثارة أى Guitarre عن نفس الطريق ، ثم المسخرة تساويها بالألمانية Maskerade و Maske كلاهما يرد استعمالهما كل سنة بمناسبة أعياد الكارنفال ، وأذكر بعدها من باب الشعر بجانب الديوان أيضاً الغزل فقد أصبح معروفاً فى ألمانيا منذ أيام Goethe الذى افتتح بنشر ديوانه الشرقى موجة من التحمس للشرق بين الشعراء الألمان فى النصف الاول من القرن الماضى أدى إلى قيام عدد منهم بنظم أشعار سموها بالغزل ظانين بأنها تضارع الشعر الغزلى العربى والفارسى المثالى ، إلا أنه لم يبق اليوم لهذا الفرع من الشعر الألمانى أثر سوى

الذكرى التاريخية ، وأما كلمة الترجمان فقد دخلت في الألمانية مرتين ، مرة أولى في أوائل الحروب الصليبية بشكل محرف مشبه باسم ألماني أصيل حتى إنه قد ألفت ملحمة باللغة الألمانية القديمة تحت هذا الاسم Traugemund ومعناه الحرفي « الفم الكاذب » ، وفي نقل آخر : « الفم الصادق » ، ومرة ثانية في العصر الحديث عن طريق الفرنسية حيث يقال Dragoman ومعناه دليل السواح في بلدان الشرق ، كما اشتقت كلمة أخرى قليلة الشعبية كثيرة الانتشار عن طريق الفرنسية وهي Razzia ومعناها عند الألمان اليوم حملة بوليسية معينة في المدن الكبرى ويرجع أصلها إلى صيغة دارجة لكلمة الغزوة القديمة ، وأما كلمة Rasse التي لعبت دوراً هاماً في سياسة قرننا هذا فلم يثبت للآن اشتقاقها قطعياً ويظن بعض العلماء أنها من أصل عربي « رأس » والأبحاث ما تزال تستمر ، ومن الكلمات المعروفة عند الألمان أيضاً Talisman أى التيممة أو الحرز ويرجع أصلها إلى العربي « طلسم » الذي اشتق بدوره من كلمة يونانية .

كانت هذه لمحة قصيرة على عدد من الكلمات الألمانية المستعملة في اللغة الحديثة الحية والتي يرجع أصلها إلى اللغة العربية ، مع العلم أن هذه القائمة غير مكتملة لأنني تحاشيت سرد جميع الكلمات التي تدخل في هذا الباب حتى لا يطول المقال ، بل فضلت أن أختار أشهر هذه الكلمات وأكثرها استعمالاً وانتشاراً ، تاركاً جانباً المصطلحات الخاصة النادرة والكلمات القديمة التي زالت الآن من الوجود والكلمات التي لم تصل الأبحاث المدققة لتاريخها بعد إلى نتائج معتمدة .

وأختم مقالى هذا مستنتجاً من المعلومات المذكورة سابقاً إن للعرب عند الألمان رصيماً غنياً من التراث الثقافي الحى يثبت بشكل واضح مدى اهتمام الألمان في ثقافتهم بنور الشرق وبالدور المجيد الذى قام به العرب في مختلف ميادين الحضارة والعلوم والذى ستنقى ذكره حية قرناً بعد قرن .

(الدكتور بول كونتش — كولونيا / ألمانيا)

(Dr. Paul Kunitzsch, Köln)

